

امرؤ القيس بن حجر:
رحلته إلى الشرق أو إلى الغرب؟
"القسم الثاني"

د. ليلي توفيق العمري

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية

الجامعة الهاشمية

وأما المقطوعة الأولى فهي السادسة والأربعون في الديوان^(١)، وعدد أبياتها ثمانية، وقد تفرّد بها المفضّل الضبّي فلم يشاركه الأصمعي في روايتها^(٢)، ويغلب على الظن أنها بقايا قصيدة، لأنها بلا مقدمة طللية، وغير مصرعة^(٣)، ويبدو أنه نظمها بعد القصائد الثلاث السابقة، عند وفاته بأنقرة^(٤)، لأنها تعكس نفس امرئ القيس وتصوّر حاله وهو يصارع الموت، فلا يملك له دفعا، ولا يستطيع له ردّا، فهو يتمنى أن يعلم قومه بحاله ومرضه، فقد ذوى جسده، وأنهكت روحه، وتلاشت آماله، وذهبت أمانيه، وتلك حال البشر، فما زعم لنفسه يوماً أنه خلق من حجر أو حديد. هلك بأرض الروم بعيداً عن أرضه وقومه، ولو أنه مات في أهله وعلى

(١) ص: ٢١٣-٢١٤، وهي الحادية والأربعون في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضّل)، والسادسة والخمسون في مخطوطة السكري، والرابعة والثلاثون في مخطوطة ابن النحاس، والسابعة في مخطوطة أبي سهل. وانظر شرح ديوان امرئ القيس: ٧٨، تاريخ البعقوبي ١: ٢٢٠، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠١-١٠٢، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ٢٠٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٣-١٣٤، شعراء النصرانية ١: ٣٤-٣٥.

(٢) رواية المفضّل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي.

(٣) امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠١.

(٤) انظر ديوان امرئ القيس: ٢١٣، شعراء النصرانية ١: ٣٤.

فراشه لتعزى بذلك وقال: الموت حقّ ولستُ بمخلد، ولكن أصابه هذا في بلاد
الغربة، فكأنه في نفسه مات قبل ميته. ولو جاد بنفسه بينهم للقي المنية مطمئناً
في "أسيس" (١) أو "زرود" (٢) مؤمناً بأن الموت حق.

لقد شقي بآماله العظام يطلب كل يوم ملكاً كملك قيصر، ومن كانت له مثل
هذه الآمال، وعلى حاله من المرض فحريّ بالموت أن يتعقبه في كل خطوة
يخطوها في تلك الديار، حيث لا يوجد فيها قريب يواسيه، ولا من يداويه، أو يعوده
في مرضه.

ألا أبلغ بني حُجر بن عمرو
بأني قد بقيت بقاء نفسٍ
فلو أتني هلكت بدار قومي
ولكنني هلكت بأرض قومٍ
أعالجُ ملك قيصر كل يومٍ
بأرض الروم (٣) لا نسب قريبٍ
ولو وافقنهن على أسيسٍ
على قُصٍ تطلُّ مقلداتٍ
وأبلغ ذلك الحيّ الحريداً
ولم أخلق سِلاماً أو حديداً
لقلت الموت حق لا خلوداً
بعيد من يباركم بعيداً
وأجدر بالمنية أن تعوداً
ولا شافٍ فيسند أو يعوداً
ضحياً أو وردن بنا زروداً
أزمنهن ما يعدفن عوداً

والمقطوعة الثانية بأربعة أبيات، انفرد السكري بروايتها، وترتيبها الثمانون في
الديوان (٤)، قالها الشاعر بأنقرة يذكر عنته، وهي صريحة الدلالة على موت امرئ

(١) أسيس: موضع بالشام. معجم ما استعجم: ١٥٢.

(٢) زرود: جبل رمل، وهو بين ديار بني عبس وديار بني يزبوع. المصدر السابق: ٦٩٦.

(٣) في: تاريخ اليعقوبي وامرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة وشعراء النصرانية: "بأرض الشام".

(٤) ص: ٣٣٩، وهي العشرون في مخطوطة السكري. وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٢،

شعراء النصرانية ١: ٥٠.

القيس بالداء الذي أصابه من جهة، وتنقض جميع الأقوال التي نسجت عن موته بالحلّة المسمومة من جهة أخرى؛ فهو يشير في بيت واحد فيها إلى الطلل ينتقل منه مباشرة إلى الحديث عن القروح التي أصابته وأنهكت جسده، كما لو كان مصاباً في مفاصله، وتكاثرت حتى أوهنت قواه، وشلت حركته، وأعجزته عن متابعة المسير عائداً إلى دياره، فصار والحالة هذه يرى كل ثوب يلبسه، ولو كان جديداً يرتديه للمرة الأولى، قديماً خلقاً قد لبس دهرًا، وانتشرت القروح على جلده، وملأت جسده كأختام نقشت متراسة على صحيفة.

ويبدو الشاعر في المقطوعة أنه وصل إلى درجة كبيرة من الوهن والعجز، لم يستطع معهما أن يصف داءه بأكثر مما وصف، وتظل هذه المقطوعة - والقصيدة الثانية- خير شاهد على اللحظات الأخيرة في حياة شاعرنا، وعلى معاناته من المرض. ولكن يبقى السؤال: ما هو الداء الذي أصابه، وظهرت أعراضه عليه على النحو الذي ذكره، هل هو داء جديد أصابه في تلك الديار، أو أنه عدوى انتقلت إليه من الطمّاح الأسدي، أو أن الداء القديم عاوده، أو أن السم تفشى في جسده، وتخلل مسامات جلده فأحدث تلك القروح؟

لَمَنْ طَلَّلْ دَائِرُ أَيُّهُ	تَقَادَمَ فِي سَالِفِ الْأَحْرُسِ
فإِمَّا تَرَيَّنِي بِبِي عُورَةٌ	كَأَنِّي تَكَيْبُ مِنَ النَّقْرِسِ
وَصَيَّرَنِي الْقُرْحُ فِي جُبَّةٍ	تُخَالُ لَبِيساً وَلَمْ تُلْبَسِ
تَرَى أَثَرَ الْقُرْحِ فِي جِلْدِهِ	كَنَقْشِ الْخَوَاتِمِ فِي الْجِرْجِسِ

وانفرد السكّري برواية الأبيات التالية، وهي الرابعة والتسعون في الديوان^(١)،
قالها وهو يحتضر حين حضرته الوفاة بأنقرة.

رُبُّ	طَعْنَةٍ	مُتَعَنِّجَةٍ
وَجَفْنَةٍ		مُتَحَيِّرَةٍ
وَقَصِيدَةٍ		مُحَبَّرَةٍ
تَبَقَى	عَدَا	بِأَنْقَرَةٍ

وقال ابن الكلبي^(٢): "هذا آخر شيء تكلم به، ثم مات".

وزاد أبو سهل في مخطوطته البيتين التاليين، وترتيبهما السابع والتسعون في
الديوان^(٣)؛ قالهما عند موته:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَأَنْيُّ مُقِيمٍ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنْأَا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

(١) ص: ٣٤٩، وانظر ص: ٧ ليست له، وإنما قال الأصمعي في نسبتها: "وفيه يقول القائل"،
الشعر والشعراء: ٥٣، ٦٣، الأغاني ٩: ١٠٠، معجم ما استعجم: ٢٠٤، معجم البلدان
١: ٣٢٢، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٥، امرؤ القيس
حياته وشعره: ١٠٣، شعراء النصرانية ١: ٣٤ باختلاف في رواية الألفاظ فيها، وفي عدد
الأبيات.

(٢) الشعر والشعراء: ٥٣.

(٣) ص: ٣٥٧، وهما الثلاثون في مخطوطة أبي سهل. وانظر الشعر والشعراء: ٦٣، الأغاني
٩: ١٠١، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥ (البيت الأول)،
البداية والنهاية ١: ٢٠٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٣، امرؤ القيس الملك الضليل:
١٣٥-١٣٦، شعراء النصرانية ١: ٣٤.

ويذكر الرواة في مناسبتها أنه رأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم^(١) هلكت بأنقرة، فدفنت في سفح جبل يقال له عَسِيب، فسأل عنها، فخبَّر بخبرها؛ فقال البيتين ثم مات^(٢). وهو احتمال قائم إلا أن مضمونها لا يدل على ذلك، ويمكن لأي غريب في أية رحلة أن يستشعر الغربة فيجري على لسانه مثل هذا الشعر إبداعاً وتمثلاً^(٣)، وربما كانا من قصيدة وليساً بمنفردين^(٤).

ويروي له أبو سهل عند موته أيضاً بيتين ترتيبهما الثامن والتسعون في الديوان^(٥)، يذكر فيهما أن الداء تمكَّن منه وليس يبرحه حتى دعا على نفسه بالموت.

لَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَايَ فِي الْقَرِّ وَالْقَيْظِ وَهَلْ تَدْمَعُ الْعَيْنَانِ إِلَّا مِنَ الْعَيْظِ!
فَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّرَّ لَيْسَ بِيَارِحٍ دَعَوْتُ لِنَفْسِي عِنْدَ ذَلِكَ بِالْقَيْظِ

(١) انظر الحاشية السابقة، وفي الأغاني ٩: ١٠٠، وشعراء النصرانية: "امرأة من أبناء الملوك".
(٢) انظر ما ذكرناه سابقاً في القسم الأول من البحث.

(٣) قال صخر بن عمرو بن الشريد - أخو الخنساء - لما أدركه الموت:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَتُوبُ عَلَى النَّاسِ، كُلُّ الْمُخْطِئِينَ مُصِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّ تَسْأَلِيَنِي فَأِنِّي مُقِيمٌ لِعَمْرِي مَا أَقَامَ عَسِيبُ

انظر ديوان الخنساء: ٣٦٣-٣٦٤، والحاشية رقم (٥)، معجم ما استعجم: ٩٤٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٥-١٣٦، الحاشية رقم (٦).

(٤) انظر ديوان امرئ القيس: ٤٥٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٥-١٣٦.

(٥) ص: ٣٥٧، وهما الحادي والثلاثون في مخطوطة أبي سهل.

تلك هي رحلة امرئ القيس التي ظفرنا بها من شعره، والتي صوّرتها القصائد والمقطوعات السابقة تصويراً أدقّ من تصوير الرواية والأخبار لها، فقد عرفنا منها نفسية صاحبها المتأرجحة بين اليأس والأمل، والديار التي مرّ بها في الجزيرة العربية والشام، والطرق التي سلكها فيهما، والمتاعب التي واجهته، وحفاوة الملك الرومي به، ثم مرضه وموته في تلك البلاد في طريق عودته إلى دياره، وغير ذلك من الأخبار التي حصلنا عليها من هذا الطريق، وهي على وفرتها من ناحية، وإيجازها من ناحية أخرى، أضافت إلى رصيدنا عن رحلة هذا الشاعر ما كان ينقصنا من الأخبار التي زوّدتنا بها الرواية العربية، والتي كان يلفّ بعضها الأسطورة والخرافة. ومع ذلك فقد كانت أمنيّتنا من تحليل هذا الشعر أن نقف على الطرق التي سلكها امرؤ القيس، والمواضع التي مرّ بها أو نزل فيها خارج الشام حتى وصل إلى عاصمة الروم، وهذا ما لم يتحقّق لنا أبداً.

فإذا كان شعر امرئ القيس - وكذلك شعر عمرو بن قميئة - على قلّته في هذه الناحية، قد دلّ في مضمونه على الدافع من هذه الرحلة، وعلى تنقل الشاعر في بعض الأماكن حتى وصل إلى بلاد الروم، وإذا كان المحور الأول قد أفضى إلى المحور الثاني واتسق معه في الوصول إلى نتيجة واحدة، وهي بيان الجهة التي اتجهها امرؤ القيس في سفره إلى قيصر ملك الروم. فإذا كان الأمر كذلك فإن في الكتب الجغرافية ما يناقض هذه النتيجة ويشكك فيها من جهة، وفيها ما يؤكدها ويثبت صحتّها من جهة أخرى، وهذا ما يتضمّنه حديثنا في المحور الثالث.

فقد مرَّ في شعر عمرو بن قميئة أنه لمَّا خرج مع امرئ القيس إلى بلاد الروم، ورأى "ساتيْدَمًا" حنَّ إلى بلاده فبكى. وقد اختلف الجغرافيون والمؤلفون العرب في وصف "ساتيْدَمًا" وتعيين طبيعته، كما اختلفوا في موقعه^(١)؛ فمنهم من ذهب

(١) واختلف كثير منهم في كتابته؛ فكتب: "ساتيْدَمًا"، و "ساتي دما"، و "ساتيدا" بحذف الميم، و "ساتي دا"، و "ساتيْدَ" بحذف الميم والألف، و "ساتيدما" بالمد، و "ساتيْدَمِي". وذلك عندما وصفوا "ساتيدما" واستشهدوا ببيت عمرو بن قميئة عليه، وفسروه، وبيت الأعشى وأبي نواس وأبي النجم وابن مفرغ، وعندما وصفوا بعض المواضع والأماكن التي يتصل وصفها بالحديث عن "ساتيدما". وللجغرافيين واللغويين تعليقات في ذلك.

• ساتيْدَمًا: والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموي (معجم البلدان ٣: ١٨٩) ونقله عنه البغدادي في خزنة الأدب (٤: ٤٠٩) - فقال: "ساتيْدَمًا: بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة، وياء مثناة من تحت، ودال مهملة مفتوحة ثم ميم، وألف مقصورة، أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب، فإمَّا أن يكون مرتجلاً عربياً لأنهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم، وإمَّا أن يكون عجمياً". (وقد وُرد "ساتيدما" على هذا النحو في: ديوان عمرو بن قميئة: ١٨٢، ديوان البحري: ١٤٥٧، الموشح: ٧١، شرح أبيات سيبويه ١: ٣٦٧-٣٦٨، الأزمنة والأمكنة ٢: ٣٠٩، فرحة الأديب: ٨٦، ٨٧، معجم ما استعجم: ١٠، ٧١١، ١١٤٢، الإنصاف: ٤٣٢، معجم البلدان ٢: ٥٠٢، ٥١١، ٣: ١٨٩، ١٩٠، التكملة ٦: ٤١٥، مراصد الاطلاع: ٦٨١، خزنة الأدب ٤: ٤٠٦-٤١١، تاج العروس (ليبيا): دما).

• ساتي دما: قال ياقوت في مادة "ساتيدما" (معجم البلدان ٣: ١٨٩-١٩٠): "سمي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويسفك فيه دم، كأنه اسمان جعلاً اسماً واحداً ساتي دما، وساتي وسادي بمعنى، وهو سدَى الثوب، فكأن الدماء تُسدَى فيه كما يسدَى الثوب". (انظر أيضاً: الصحاح: دما، لسان العرب: دمي، خزنة الأدب ٤: ٤٠٩). وقد استشهد الجوهري وابن منظور ببيت عمرو بن قميئة والأعشى على النحو التالي:

قال عمرو بن قميئة:

لَمَّا رَأَتْ سَاتِي دَمًا اسْتَعْرِثَتْ لِّلَّهِ دَرُّ الْيَوْمِ مَن لَّامَهَا

وقال الأعشى:

وَهَرَقْلًا يَوْمَ ذِي سَاتِي دَمًا مِنْ بَيْتِي بُرْجَانِ ذِي الْبَاسِ رُجْحُ

• ساتيدا: قال الزبيدي (تاج العروس (الكويت): ستد): "أهمله الجماعة"، وقال صاحب القاموس المحيط: (ستد): وهو "في قول يزيد بن مفرغ:

فَدِيرٌ سُوَى فَسَاتِيْدَا فَبُصْرَى فَخُلُوَانُ الْمَخَافَةِ فَالْجِبَالُ

اسم جبل، أصله: ساتيدما، حذف الشاعر ميمه، فينبغي أن يُذكر هنا، وينبّه على أصله.

وقال الزبيدي (تاج العروس (الكويت): ستمد): "قال شيخنا: وكلامهم صريح في أنه أعجمي اللفظ والمكان، فلا تُعرَفُ مادته ولا وزنه. والشعراء يتلاعبون بالكلام، على مقتضى قرائحهم وتصرفاتهم، ويحذفون بحسب ما يعرض لهم من الضرائر، كما عُرف ذلك في محله، فلا يكون في كلامهم شاهدٌ على إثبات شيء من الكلمات العجمية.

وقوله: ينبغي أن يذكر هنا إلى آخره، بناءً على أن وزنه فاعيل ما، وأن مادته: ستمد. وليس الأمر كذلك بل هذه المادة مهملة في كلامهم، وهذه اللفظة عجمية لا أصل لها، وذكرها إن احتاج إليها الأمر، لوقوعها في كلام العرب، ينبغي أن يكون في الميم، أو في باب المعتل، لأن وزنها غير معلوم لنا، كأصلها، على ما هو المقرّر المصريح به في كلام ابن السراج وغيره من أئمة الاشتقاق، وعلماء التصريف".

وقال في موضع آخر من التاج (ليبيا): (دما): "قلت فهذا موضع ذكره كما فعله الجوهري وغيره من الحدائق، والمصنف أورده في س ت د نظراً إلى ظاهر لفظه مستدركاً به على الجوهري مع أن الجوهري ذكر ساتيدما هنا فقال: وقد حذف يزيد بن مفرغ الحميري منه الميم في قوله: * فدير سؤى فساتيدا فبصرى *".

(وانظر بالإضافة إلى ما سبق: شعر ابن مفرغ: ١٢٢، الصحاح: دما، خزانة الأدب ٤: ٤١٠).
 • ساتي دا: ذكر صاحب اللسان: (دمي) بيت ابن مفرغ الحميري السابق مستشهداً به على حذف ميم "ساتيدما" على هذا النحو: "ساتي دا".
 • ساتيد: وذكره ابن منظور أيضاً في المصدر السابق: (سوا) دون ميم وألف، فقال: "وأشده ابن بري لابن مفرغ: * فدير سؤى فساتيد فبصرى *".
 • ساتيدما: قال ياقوت في "ساتيدما" (معجم البلدان ٣: ١٩٠): "وقد مدّه البحرني فقال (ديوان البحرني: ١٣٥٧):

ولما استقلت في جلولاً ديارهم قلاً الظهر من ساتيدما ولا اللحف"

(وانظر خزانة الأدب ٤: ٤٠٩). ورواية الديوان: استقرت. (جلولا، قال ياقوت (معجم البلدان ٢: ١٨١): جلولا، بالمدّ طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان. واللحف: صقع معروف من نواحي بغداد سمّي بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند وتلك النواحي وهو دونها مما يلي العراق). (المصدر السابق ٥: ١٦).

ويقول البكري (معجم ما استعجم: ٧١٢): "ورأيت البحرني قد مدّه، فلا أعلم ضرورة أم لغة، والبحرني شديد التوقي في شعره من اللحن والضرورة". (وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١٠).
 وذكره البحرني أيضاً بغير مدّ، فقال (ديوانه: ١٤٥٧):

ساتيدما، وسؤوفنا في هضبه يفري "إياس" بها الطلى والسوقا

(الطلى: الأعناق واحدها الطلية والطلاة. والسوق: جمع الساق. يفري: يقطع ويشق. إياس: هو إياس بن قبيصة الطائي من شجعان طيء).
 • ساتيدمي: ديوان الأعشى: ٢٣٩.

إلى أنه قصرٌ من قصور السواد^(١)، ومنهم من ذهب إلى أنه واد ينصبّ إلى نهر بين آمد^(٢) وميافارقين^(٣) ثم يصبّ في دجلة^(٤)، وفريق ثالث ذهب إلى أنه نهر^(٥)، وفريق رابع ذهب إلى أنه جبل^(٦).

أما مَنْ ذهب إلى أن "ساتيدما" قصر من قصور السواد، فقد استدلّ على ذلك بقول أبي النّجم يذكر سكّر خالدِ القسريّ لدجلة:

(١) معجم ما استعجم: ٧١١، خزانة الأدب ٤: ٤١١.

(٢) "آمد: بكسر الميم، وما أظنّها إلا لفظة رومية، ولها في العربية أصل حسن... وهي أعظمُ مُدن ديار بكر وأجلّها قدراً وأشهرها ذكراً... وهو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السّود على نشز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كاللّلال، وفي وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين، يُتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور" (معجم البلدان ١: ٧٦). وفي تقويم البلدان: ٢٨٧: أن آمدَ "على غربي دجلة".

(٣) ميافارقين: "أشهر مدينة بديار بكر، قالوا: سميت بميافارقين لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلف بالفارسية يقال له بارجين، لأنها كانت أحسن خندقها فسميت بذلك، وقيل: ما بُني منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان بن قباد وما بُني بالأجر فهو بناء أبرويز... وقال صاحب الزيج: ... والذي يُعتمد عليه أنها من أبنية الروم لأنها في بلادهم، وقد ذكر في ابتداء عمارتها أنه كان في موضع بعضها اليوم قرية عظيمة وكان بها بيعة من عهد المسيح وبقي منها حائط إلى وقتنا هذا..." (معجم البلدان ٥: ٢٧٣).

(٤) مراصد الاطلاع: ٦٨١، وانظر معجم البلدان ٢: ٥٠٢، ٣: ١٩٠، خزانة الأدب ٤: ٤١٠، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٥) معجم البلدان ٣: ١٩٠، مراصد الاطلاع: ٦٨١، خزانة الأدب ٤: ٤١٠، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٦) شرح أبيات سيبويه ١: ٣٦٨، الصحاح: (دما)، فرحة الأديب: ٨٧، تحصيل عين الذهب ١: ٩١، معجم ما استعجم: ٧١١، ١١٤٢، معجم البلدان ٢: ٥١١، ٣: ١٨٩، ١٩٠، لسان العرب: (دمي)، مراصد الاطلاع: ٦٨١، القاموس المحيط: (ستد)، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧-٤١١، تاج العروس (ليبيا): (دما) وطبعة (الكويت): (ستد).

فَلَمْ يَجْنُهَا الْمَدُّ (١) حَتَّى أَحْكَمَّا سِكْرًا (٢) لَهَا أَعْظَمَ مِنْ سَاتَيْدَمَا

ويردّ البغدادي على هذا القول؛ فيقول: "ولا يخفى أنه ليس في قول أبي النجم ما يعين كونه قصراً، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل".

وأما الآراء الأخرى التي قيلت في وصف "ساتيدما" وتعيين طبيعته فإن حديثنا عنها سيكون حديثاً واحداً يشملها جميعها في آن؛ فقد قال البكري فيه^(٣): "ساتيدما: هو جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند".

وقال ياقوت^(٤): "قال العِمْراني: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبداً، وأنشد:

وَأَبْرُدُ مِنْ ثَلْجِ سَاتَيْدَمَا، وَأَكْثَرُ مَاءٍ مِنَ الْعُكْرِشِ

وقال غيره^(٥): سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُسْفَكُ فِيهِ دَمٌ".

(١) في خزانة الأدب: "المرء".

(٢) السِكر، بالكسر: العَرِمُ والمُسْنَأة، وهي السدّ يقام في مجرى النهر لحجز المياه. لسان العرب: (سكر)، (عرم).

(٣) معجم ما استعجم: ٧١١، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١١.

(٤) معجم البلدان ٣: ١٨٩، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤٠٩.

(٥) معجم البلدان ٣: ١٨٩، وانظر الصحاح: (دما)، تحصيل عين الذهب ١: ٩١، معجم ما استعجم: ٧١١، لسان العرب: (دمي)، خزانة الأدب ٤: ٤٠٩، ٤١١، تاج العروس (ليبيا): (دما).

(٦) معجم البلدان ٣: ١٩٠.

وقال أبو عبيدة^(٦): "ساتيدما جبل يذكر أهل العلم أنه دون الجبال من بحر الروم إلى بحر الهند".

وقيل في المراصد^(١): إن "ساتيدما"، "جبل بالهند"، فقط.

وقال البكري عن محمد بن سهل في رسم الكوفة^(٢): "سُمِّيت الكُوفَة، لأنَّ جبل سَاتِيدَمًا محيطٌ بها كالكِفَافَةِ عليها".

وقال في موضع آخر عن ابن الكلبي^(٣): "وتهامة: ما ساير البحر، منها مكَةُ والعَبْرُ والطُّورُ والجزيرة. فالعَبْرُ: ما أخذ على الفرات إلى بَرِّيَّةِ العرب. والطُّورُ: ما بين دِجْلَةَ وسَاتِيدَمًا".

ويعود ياقوت فيقول^(٤): "وساتيدما: جبل بين مَيَّافَارِقِينَ وسَعْرَتِ (٥) "، وذلك عند استشهاده بأبيات عمرو بن قميئة السابقة، ثم يورد بيتاً للأعشى يقول فيه^(٦):

(١) مراصد الاطلاع: ٦٨١، وانظر تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٢) معجم ما استعجم: ١١٤٢.

(٣) المصدر السابق: ١٠.

(٤) معجم البلدان ٣: ١٩٠، وانظر فرحة الأديب: ٨٧، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧، تاج العروس

(لبيبا): (دما) وطبعة (الكويت): (ستد).

(٥) لم أعثر على رسمها.

(٦) ديوان الأعشى: ٢٣٩. يمدح إياس بن قبيصة الطائي، ويروى: "يوم سَاتِيدَمَى"، و " في البأس".

" وَهَرَقْلًا يَوْمَ ذِي سَاتَيْدَمَا مِنْ بَنِي بُرْجَانَ ذِي الْبَاسِ رَجَحٌ ^(١)

وقد حذف يزيد بن مفرغ ميمه فقال ^(٢):

فديِرُ سَوَى فساتَيْدَا فُبَصْرَى

ويخطئ العِمْراني؛ فيقول ^(٣): "قلت: وهذا يدلّ على أن هذا الجبل ليس بالهند وأن العِمْراني وهم، وقد ذكر غيره أن ساتيدما هو الجبل المحيط بالأرض ^(٤)، منه جبل بارمًا وهو الجبل المعروف بجبل حُمَريْن وما يتصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي ^(٥)، وهو أقرب إلى الصحة، والله أعلم، وقال أبو بكر الصولي في شرح قول أبي نواس ^(٦):

(١) هرقل: آخر ملوك الروم في القسطنطينية قبل الإسلام، وكانت هجرة النبي لسبع سنين من ملكه، وهو الذي أخذ المسلمون الشام منه، وهو يشير إلى استرجاعه للشام من الفرس بعد أن ملكوها ثم غزوه لهم. انظر تاريخ الطبري ١: ٦٠٦، ٦٠٨، ٢: ٦٤٤، ٦٤٥-٦٤٦. ساتيدما: في الصحاح: (دما)، لسان العرب (دمي) ورد هكذا: "ساتي دما". بنو بُرْجَانَ: جنس من الروم. انظر القاموس المحيط: (برج). الباس: الحرب، وقد جاء هنا دون همز. رَجَحٌ: ورد في الصحاح: (دما)، التكملة ٦: ٤١٥: "رَجَحٌ". وقال الصغاني (ص: ٤١٦): "والرواية في الناس بالنون، ويروى رَجَحٌ بالتحريك، أي رَجَحَ عليهم".

(٢) شعر ابن مفرغ: ١٢٢، وتمامه: * فحلوانُ المخافة فالجبالُ * ويروى الصدر فيه: "فديِرُ سَوَى" دون تنوين، وكذلك في القاموس المحيط: (ستد)، وخزانة الأدب ٤: ٤١٠، وتاج العروس (الكويت): (ستد). وضبط بالتنوين (سَوَى) في: الصحاح: (دما)، ومعجم البلدان ٣: ١٩٠، ولسان العرب: (دمي)، (سوا).

(٣) معجم البلدان ٣: ١٩٠، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١٠-٤١١.

(٤) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٥) مراصد الاطلاع: ٦٨١.

(٦) انظر ديوان أبي نواس: ٨٧.

وَيَوْمَ سَاتَيْدِمَا ضَرَبْنَا بَنِي الْأَصْدِ فَرَّ وَالْمَوْتُ فِي كَنَائِبِهَا

قال: ساتيدما نهر بقرب أرزن^(١) وكان كسرى أبرويز وجّه إياس بن قبيصة الطائي لقتال الروم بساتيدما فهزمهم فافتخر بذلك، وهذا هو الصحيح، وذكره في بلاد الهند خطأ فاحش^(٢)، وقد ذكر الكسروي - فيما أوردناه - في خبر دجلة عن المرزباني عنه^(٣) فذكر نهراً^(٤) بين آمد وميافارقين ثم قال: ينصب إليه وادي ساتيدما^(٥) وهو خارج من درب الكلاب^(٦) بعد أن ينصب إلى وادي ساتيدما وادي الزور^(٧) الآخذ من الكلك، وهو موضع ابن بقرط البطريق من ظاهر إرمينية، قال: وينصب أيضاً من وادي ساتيدما نهر ميافارقين، وهذا كله مخرجه من بلاد الروم، فأين هو

(١) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١، تاج العروس (الكويت): (ستد). وأرزن الروم: بلدة من بلاد إرمينية، أهلها أرمن. (معجم البلدان ١: ١٨١).

(٢) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١.

(٣) قال ياقوت عن المرزباني في رسم دجلة (معجم البلدان ٢: ٥٠٢): "وأول نهر ينصب إلى دجلة يخرج من فوق شمشاط بأرض الروم يقال له نهر الكلاب، ثم أول واد ينصب إليه سوى السواقي والرواضع والأنهار التي ليست بعظيمة وادي صلّب، وهو واد بين ميافارقين وآمد، قيل: إنه يخرج من هلورس، وهلورس الموضع الذي استشهد فيه عليّ الأرميني، ثم ينصب إليه وادي ساتيدما وهو خارج من درب الكلاب..." إلى نهاية النص.

(٤) هو واد وليس نهراً، انظر الحاشية السابقة.

(٥) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١، وقال ابن عبدالحق - ونقله عنه الزبيدي -: "وقد قيل: إنه واد ينصب إلى نهر بين آمد وميافارقين، ثم يصب في دجلة"، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٦) الدرب: "ما بين بلاد العرب والعجم". ودرب الكلاب: "عند جبل ساتيدما بديار بكر قرب ميافارقين، سمّي بذلك لأن قيصر انهزم من أنوشروان بحيلة عملها عليه فأتبعه إياس بن قبيصة بن أبي غفر الطائي فأدركهم بساتيدما مرعوبين مفلولين من غير قتال، فقتلوا قتل الكلاب ونجا قيصر في خواص من أصحابه، فسّمّي ذلك الموضع بدرب الكلاب لذلك".

انظر ديوان امرئ القيس: ٦٥، معجم البلدان ٢: ٥١١ على التوالي.

(٧) الزور: "نهر يصب في دجلة قرب ميافارقين". معجم البلدان ٣: ١٧٧.

والهند؟ يا لله للعجب! وقول عمرو بن قمئة^(١): لَمَّا رَأَتْ سَاتِيدِمَا، يَدِلْ عَلَى ذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ حَيْثُ سَارَ مَعَ امْرِئِ الْقَيْسِ...".

وإلى مثل هذا ذهب ابن عبد الحق؛ فقال^(٢): "وقول الأول إنه جبل بالهند غلط"، وكذلك الزبيدي؛ قال^(٣): "وقولهم: إنه جبل بالهند غلط". ويعلق البغدادي على قول العِمْرَانِيِّ؛ فيقول^(٤): "وممَّا يردُّ به على العِمْرَانِيِّ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ جَبَلٌ بِالْهِنْدِ لَا يَعْدَمُ ثَلْجُهُ، أَنَّ الْهِنْدَ بِلَادٌ حَارَّةٌ لَا يَوْجَدُ فِيهَا الثَّلْجُ"^(٥).

ونضيف إلى ذلك كله أنه ورد في شعر امرئ القيس موضعان أشار إليهما القدماء وهم يتحدثون عن أخباره فيهما، هما: أَنْقَرَةَ، وَعَسِيب. أمَّا أَنْقَرَةُ فقد ذكرنا أن امرأ القيس لمَّا صار إليها في طريق عودته إلى بلاده - من عند قيصر - احتضر؛ فقال: * رَبُّ حُطْبَةِ مُسْحَنْفَرَةٍ * وَأَنْقَرَةُ هِيَ كَمَا ذَكَرَ الْبَكْرِيُّ فِي خَبَرِ يَنْسِبُهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ شَبَّةٍ "مَوْضِعٌ بظَهْرِ الْكُوفَةِ، أَسْفَلَ مِنَ الْخَوْرَنَقِ، كَانَتْ إِيَادُ تَنْزِلُهُ فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، إِذَا^(٦) غَلِبُوا عَلَى مَا بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ، وَفِيهِ الْيَوْمَ طَيْبٌ وَسَلِيحٌ، وَفِي بَارِقٍ إِلَى هَيْتٍ وَمَا يَلِيهَا، كُلُّهَا مَنَازِلُ طَيْبٍ وَسَلِيحٍ... وَقَالَ غَيْرُهُ: أَنْقَرَةُ: مَوْضِعٌ بِالْحَيْرَةِ، قَالَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفُرٍ^(٧):

(١) "قمئة" هكذا ورد في معجم البلدان، والصواب - بطبيعة الحال - هو: "قميئة".

(٢) مراصد الاطلاع: ٦٨١.

(٣) تاج العروس (الكويت): (سند).

(٤) خزنة الأدب ٤: ٤١١.

(٥) هذا من أوام القدمات، لأن الثلج يغطي رؤوس الجبال العالية في الجبال الاستوائية.

(٦) هكذا في النص، والأرجح أنها "إذ".

(٧) ديوان الأسود: ٢٦-٢٧، وَيُرْوَى: "تَزَلُّوا بِأَنْقَرَةَ".

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَهْلِ الْخَوَزَنَقِ وَالسِّدِيرِ وَبَارِقِ وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرْفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
حَلْوًا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ

... وقال عمر بن شبة: قال هشام بن الكلبي: قال لي داود بن علي بن عبد الله بن عباس: قد رأيت أنقرة التي بالروم، وبينها وبين الفرات مسيرة عشرة أيام، فكيف يسيل عليها ماؤه؟ وأنقرة التي ذكر داود موضع آخر ببلاد الروم، وهي التي مات فيها امرؤ القيس مُنْصَرَفَهُ عَنْ قَيْصَرَ...^(١). ويقف ياقوت عند أنقرة التي وردت في شعر الأسود؛ فيقول^(٢): "وقد ذكر بعض العلماء أن أنقرة التي في شعر الأسود هي أنقرة التي ببلاد الروم، نزلتها إياد لما نفاهم كسرى عن بلاده، وهذا حسن بالغ ولا أرى الصواب إلا هذا القول". ويؤيد قول داود بن علي وكذلك قول ياقوت إن امرأ القيس عنى بأنقرة التي وردت في شعره: أنقرة التي ببلاد الروم^(٣)، ولهذا الشعر خبر مرتبط به -كما أسلفنا-.

(١) معجم ما استعجم: ٢٠٣-٢٠٤، وانظر معجم البلدان ١: ٣٢٣.

(٢) معجم البلدان ١: ٣٢٣.

(٣) وممن ذكر أيضاً أن "أنقرة" ببلاد الروم: الأصمعي في ديوان امرئ القيس: ٧، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٦٣، واليعقوبي في تاريخه ١: ٢٢٠، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، وابن سعيد في نشوة الطرب ١: ٢٥٢.

(٤) معجم البلدان ٤: ١٤١.

وأما عسيب الذي ورد ذكره في شعر آخر لامرئ القيس، كان قاله لما رأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم دفنت في سفح هذا الجبل؛ فيقول فيه ياقوت^(١):
"وله ذكر في أخبار امرئ القيس حيث قال:

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْخُطُوبَ تَثُوبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ ههنا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

وامرؤ القيس بالإجماع مات مسموماً بأنقرة في طريق بلد الروم". وقال ابن قتيبة بعد أن استشهد بهذين البيتين^(٢): "وعسيب: جبل هناك" أي في أنقرة التي في بلاد الروم.

فإذا كانت أقوال العلماء في تعيين موقع "ساتيدما" و "أنقرة" و "عسيب" قد دلت دلالة قاطعة على أن رحلة امرئ القيس كانت إلى قيصر في بلاد الروم - حيث اتجه إلى الغرب وليس إلى الشرق إلى الهند- فإن الذين ذهبوا منهم إلى غير ذلك قد أخطأوا أو وهموا وجانبوا الصواب، وربما كان قول محمد بن سهل إن جبل "ساتيدما" يحيط بالكوفة، وقول ابن الكلبي إن "الطور" بين دجلة وساتيدما^(٣) نابغين من قول الذين قالوا^(٤): "إن ساتيدما" واد ينصب إلى نهر بين آمد وميافارقين، ثم يصب في دجلة" - ونقول: "ربما" لأنه ينقصنا الدليل المادي القاطع لإثبات ذلك - وذلك بالنظر إلى بداية مصب هذا النهر، الذي أشير إليه بأنه بين آمد وميافارقين، وإلى نهاية مصبه، إذ يوجد بُعد مكاني كبير بين بداية مصبه في بلاد الروم، وبين

(١) الشعر والشعراء: ٦٣.

(٢) وهذا يتعين أن يكون "ساتيدما" قريباً من دجلة في أرض العراق.

(٣) منهم: ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع: ٦٨١ كما سبق ذكره، وانظر المصادر الأخرى في ذلك الموضوع.

(٤) شعر ابن مفرغ: ١٢٢.

نهاية مصبّه في دجلة، وقد ألمح البكري إلى هذا البعد المكاني في رسم أنقرة، كما بيّن سابقاً.

وما يجري على هذين القولين من حكم يجري على ما ورد في شعر يزيد ابن مفرغ الحميري من مواضع توزّعت على نحو متقارب من بعضها بعضاً بين الحيرة والشام وبغداد، بحيث يفهم منه أن "ساتيدما" الذي ورد فيه لا يبعد أن يكون قريباً من إحدى هذه المواضع؛ يقول^(١):

فَدَيْرٌ سَوَى فَسَاتِيدَا فَبُصْرَى فَحُلُوانُ الْمَخَافَةِ فَالْجِبَالُ^(٢)

وكذلك ربما كان قول عمر بن شبّة في أن "أنقرة" بظهر الكوفة، راجع إلى أنه قد خلط بين "أنقرة" التي في هذا الموضع، وبين "أنقرة" التي في بلاد الروم لتشابه الاسمين. وأما قول غيره من العلماء إنها "بالحيرة"^(٣) فقد أوضحنا صواب هذا الرأي عن ياقوت.

* * *

(٢) في معجم البلدان ٢: ٥٨٧: "دَيْرُ السَّوَا: بظاهر الحيرة".
بُصْرَى: بالشام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوْران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ذكرها كثير في أشعارهم". (المصدر السابق ١: ٥٢٢).
حُلُوان: "في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد". (المصدر السابق ٢: ٣٣٤).
الجبال: "جمع جَبَل اسم علم للبلاد المعروفة... باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينبور وقرميسين والرّي وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة". (المصدر السابق ٢: ١١٥).
(٣) في المصدر السابق: "موضع بناوحي الحيرة".

إن ما سبق كان وصفاً لرحلة امرئ القيس بن حُجر إلى قيصر ملك الروم، وللوجهة التي سلكها شاعرنا في سفره هذا، وهو وصف اقتضى الحديث فيه أن نفضّل القول في ثلاثة محاور تفصيلاً يتّسق فيها جميعها من حيث الفكرة والهدف، وبحيث يفضي المحور الأول إلى المحور الثاني، والمحور الثاني إلى المحور الثالث، ويتمّ الثاني بالأول ويستكمل به، ويتّضح الثالث بالثاني ويحتاج إليه. حتى إذا انتهينا من وصف الرحلة على هذا النحو وجدنا أن امرأ القيس أخذ يستجير بالقبائل العربية - في داخل الجزيرة العربية واليمن - يطلب منها العون والمَدَد على بني أسد قَتَلَة أبيه، فلَمَّا خذلته ولم تُجره قرّر الذهاب إلى القيصر؛ فسار إلى الشمال ماراً بالديار الشامية حتى بلغ شيزر، ومنها تابع سيره متنقلاً في هذه البلاد، ثم اتّجه إلى الغرب إلى أن وصل إلى القسطنطينية - وإن لم تذكر الروايات العربية، وكذلك شعر امرئ القيس، الأماكن التي مرّ بها هذا الشاعر بعد أن جاوز شيزر في الشام إلى أن وصل إلى بلاد الروم - ومسار الرحلة من مبدئها في جزيرة العرب إلى منتهاها إلى القسطنطينية يؤكد الرواة والإخباريون العرب كما سبق أن ذكرنا.

ولكن نجد بعض المؤرخين المحدثين يشكّون في أمر هذه الرحلة، ويرون أن قصة ذهاب امرئ القيس إلى عاصمة الروم هي من وضع الرواة وابتكار القصّاصين؛ من هؤلاء جرجي زيدان يقول عن هذه القصة معرباً عن رأيه^(١): "... ومن الثابت أن امرأ القيس بعد أن يئس من نصر العرب اتّجه ببصره إلى امبراطور الروم، وسار نحو الشمال حتى بلغ شيزر، ولا نعرف كيف وصل إلى القسطنطينية، بل لا نستطيع القطع بأنه وصل إليها أصلاً. أمّا ما يؤكد الرواة في هذا الموضوع فمعظمه موضوع، وقد يكون الأمر قد اختلط عليهم، فاسم امرئ القيس كان شائعاً بين العرب إذ ذاك، حتى إن فلهاوزن عدّ خمسة عشر شاعراً كل

(١) العرب قبل الإسلام: ٢٤٦ (الحاشية).

منهم يسمّى امرأ القيس، ثم إن شيوخ القبائل العربية كانوا يترددون على بلاد القسطنطينية مستنصرين بالروم، فلا يبعد أن الرواة والقصاصين ابتكروا قصة ذهاب امرئ القيس إلى عاصمة الروم".

وقد أقام جرجي زيدان رأيه هذا على الأخبار التي رواها جواد علي عن المستشرقين البيزنطيين، فقد روى خبراً وجده عند المؤرخ البيزنطي "بروكوبيوس"؛ يقول فيه: إن رجلاً من أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه قيس Kaisus قتل أحد أقارب السميعف Esimiphaeus ملك حمير، وفرّ إلى البادية، فتوسط له القيصر وطلب إلى السميعف - بواسطة رسول أرسله إليه يدعى يوليانوس Julianus- تنصيبه رئيساً على معدّ Maddeni وعلى الأعراب، وقد كانت سفارة يوليانوس إلى الحميرين قبل موت قُبَاذ^(١) أي قبل سنة ٥٣١م^(٢). وذكر أنه "ليس في هذا الخبر ما يفيد قيام ثورة على والده ومقتله. وفي الخبر إشارة إلى شجاعة قيس وكفائه وحزمه، لهذه الأسباب رغب القيصر على ما يظهر في تعيينه رئيساً على معدّ"^(٣).

وروى أيضاً خبراً عن المؤرخ نونوسوس^(٤) Nonnosus - نقله من مقالة للأب لويس شيخو اليسوعي^(٥) - أن القيصر يوستينيانوس كلف نونوسوس الذهاب في سفارة إلى قيس Kaisus حفيد الحارث^(٦) Aretas ورئيس قبيلتين عظيمتين من قبائل العرب (السرسينوى Saracynoi) هما كندة Kindynoi ومعدّ Maadynoi

(١) قُبَاذ بن فيروز.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥، وانظر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢-٣٩٣، العرب قبل الإسلام: ٢٤٦ (الحاشية).

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥.

(٤) في المقالة المذكورة تالياً: نُتَوَز.

(٥) بعنوان: "مزدكية امرئ القيس الشاعر الجاهلي"، المشرق، السنة الثامنة، العدد ٢١، ١ تشرين الثاني، ١٩٠٥م، ص: ٩٩٨-١٠٠٦.

(٦) الحارث بن عمرو.

لمواجهته ودعوته إلى المجيء معه إلى الامبراطور إن أمكنه ذلك، فذهب نونوسوس إليه، ونفذ أوامر القيصر، وعاد سالماً إلى بلده^(١). وذكر أنه سبق أن كلّف أباه - أبا نونوسوس - وهو إبراهيم أن يذهب إلى قيس لعقد معاهدة معه، وقد تمكّن من ذلك وأخذ معه ابنه معاوية^(٢) إلى بيزنطة ليكون رهينة عند يوستينيانس. وكلّف إبراهيم مرّة ثانية أن يذهب إلى قيس بمهمة سياسية أخرى، فذهب إليه، وأقنعه بالقدوم إلى بوزنطية فقسم قيس ولايته على القبائل بين أخويه يزيد Jezidos وعمرو Aumros^(٣)، ونال من الامبراطور ولاية فلسطين، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه^(٤).

ويروي جواد علي أخباراً أخرى من هذا القبيل تدل في جملتها على سفارة رسل القياصرة إلى رؤساء القبائل العربية وزعمائها، لعقد المعاهدات معهم أو لمفاوضتهم في بعض الأمور السياسية، وعلى تردّد هؤلاء الزعماء العرب على بلاد الروم، بحيث دعت هذه الروايات جميعها جرجي زيدان إلى أن يخلص في شكّه إلى القول^(٥): "فعل ذلك كلّهُ هو الأصل الذي نشأت عنه قصة ذهاب امرئ القيس إلى بيزنطة ووشاية الناس به وسمّه على يد الامبراطور".

(١) المشرق: ١٠٠٥، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، العرب قبل الإسلام: ٢٤٦-٢٤٧ (الحاشية).

(٢) أي ابن قيس.

(٣) أما يزيد فهو ابن عمّه معاوية بن الحارث، وقد ذكرنا طرفاً من أخباره مع امرئ القيس، وأما عمرو فلم نسمع به.

(٤) المشرق: ١٠٠٥، وانظر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢، ٣٩٣، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٤، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، شعراء النصرانية ١: ٣٥، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

(٥) العرب قبل الإسلام: ٢٤٧ (الحاشية).

وليس في ما ذكره هذان المستشرقان من أخبار تتعلق برجل اسمه قيس يجعلنا نشكّ - بعد كل الذي عرضنا له وتوصلنا إليه - في رحلة امرئ القيس إلى بيزنطة ومقابلته القيصر، وأن نذهب في شكنا إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين العرب وننعتها بالوضع والابتكار، خاصة أنه لا يوجد بين أيدينا دليل يثبت أن "قيساً" عندهما هو امرؤ القيس الشاعر، وأن تردّد زعماء القبائل على بلاد الروم يدخل في دائرة الحقيقة في حين لا تُعدّ رحلة امرئ القيس كذلك، ونحن نجد أحداثها تتردّد في شعره، وترتبط بها أكثر من قصيدة ومقطوعة موثقة الرواية على ما عرضنا له قبل قليل. بل إنه يصعب علينا التصديق أن تواريخ العرب والروايات العربية أضربت أو تجاهلت أو لم تهتمّ برواية مثل هذه الأخبار التي وردت في تواريخ الروم - إن صحّت - لشاعر معروف ذائع الصيت وقتئذٍ! ولعلّ في ردّ جواد علي على هذين المستشرقين مقنعاً لكل من شك في قصة ذهاب امرئ القيس إلى القيصر نختم به حديثنا في هذا الموضوع؛ يقول^(١): "وليس في الذي أورده بروكوبيوس أو نونوسوس، ما يثبت أن قيساً هو امرؤ القيس. ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على أنهما لمسمّى واحد. ثم إن ما ذكره نونوسوس من أن قيساً كان رئيساً على قبيلتي كندة ومعدّ لا يكون دليلاً على أنه كان حتماً من كندة، أو أنه كان حتماً امرأ القيس الشاعر الذي يعرفه الإخباريون. وقد رأيت أن نونوسوس أوصل صاحبنا قيساً إلى بلاط القيصر، وأعادته إلى بلاده مكرماً محترماً بحاشية كثيرة العدد وافرة العدد، وجعل له مدّة حكم طويلة، وعيّنه والياً على فلسطين. أما أصحابنا الإخباريون، فجعلوا صاحبهم امرأ القيس رجلاً طريداً شريداً، ينتقل بين القبائل ملتجئاً إليها، طمعاً في الأخذ بالثأر من قتلة أبيه وفي الأمن والسلامة من الذين يتعقبون أثره يبيغون قتله. ثم إنهم لم يكتفوا بكل ذلك، فأوصلوه إلى بلاط قيصر الروم، وقالوا إنه استقبل هناك بما كان ينبغي من

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦-٢٦٧.

الاحترام والإكرام، ولكنهم عادوا فذكروا أن القيصر ندم على ما صنع، وهمّ به أمراً،
ثم أماتوه، وقبضوا روحه ودفنوه غريباً بأنقرة في جانب قبر غريبة...
ومن يستطيع إثبات أن امرأ القيس كان هو الرجل الوحيد الذي عرف بهذا
الاسم، حتى نقول إن قيساً هو امرؤ القيس حتماً...؟"

المصادر والمراجع

- الأزمنة والأمكنة، المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣٣٢هـ = ١٩٥٠م.
- الأصنام، ابن الكلبي، هشام بن محمد بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- امرؤ القيس، سليم الجندي، مكتب النشر العربي، دمشق، ١٩٣٦م.
- امرؤ القيس حياته وشعره، الطاهر أحمد مكي، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة، إيليا حاوي، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.
- امرؤ القيس الملك الضليل، محمد رضا مروّة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
- امرؤ القيس منتخبات شعرية، فؤاد أفرام البستاني، ط٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
- امرؤ القيس يقف على المسرح، محمد عبد اللطيف أبو صوفة، ط١، دار الحافظ للنشر والتوزيع، عمّان، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- أمير الشعر في العصر القديم امرؤ القيس، محمد صالح سمك، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، كمال الدين، أبو البركات، عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ)، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٠هـ=١٩٦١م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد أبو ملح وأخرين، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، شرح وتصحيح وضبط محمد بهجة الأثري، ط٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، محبّ الدين، أبو الفيض، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٢٠٥هـ)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.
- وطبعة أخرى بتحقيق عبدالستار أحمد فرّاج وآخرين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٣٩٥هـ = ١٩٦٥م - ١٩٧٥م.
- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، تعليق شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧م.
- تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، أبو زيد، عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.
- تاريخ الطبري، الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م.
- تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ)، في حاشية الكتاب لسبويه، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ - ١٣١٧هـ.
- تقويم البلدان، أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)، تصحيح رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.
- التكملة، الصّغاني، رضي الدين، الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق عبدالعليم الطحاوي وآخرين، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م-١٩٧٩م.

- خزانة الأدب، عبدالقادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، ط ١-٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٧٩م-١٩٨٦م.
- دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ديوان أبي نواس، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م.
- ديوان الأسود بن يعفر، تحقيق نوري حمودي القيسي، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م.
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ديوان البحري، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م - ١٩٦٤م.
- ديوان الخنساء، تحقيق أنور أبو سويلم، ط ١، دار عمّار، عمّان، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م.
- ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ١، القاهرة، ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م.
- ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي عشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.

- الزينة في الشعر الجاهلي: التزيّن بالحلي، يحيى الجبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور، يحيى الجبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد السادس، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- شرح أبيات سيبويه، السيرافي، أبو محمد، يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
- شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م.
- شعر السمؤال، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م.
- شعر ابن مفرغ الحميري، جمع وتقديم داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٨م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
- شعراء النصرانية، لويس شيخو اليسوعي، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧م.
- الشوامخ: امرؤ القيس درس وتحليل، محمد صبري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.

- الصحاح، الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.
- العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٠٩م.
- العرب قبل الإسلام، حسين الشيخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- العقد الثمين، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م.
- علاء الدين ومسرحيته الشعرية: امرؤ القيس بن حُجر، تحقيق وتعليق محمد أبو صوفة، ط١، دن، عمّان، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- فحولة الشعراء، الأصمعي، أبو سعيد، عبدالملك بن قُرب (ت ٢١٦هـ)، تحقيق ش. تورّي، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٨٩هـ = ١٩٧١م.
- فُرحة الأديب، الأسود الغُنْدجاني، أبو محمد، الحسن بن أحمد الأعرابي (ت بعد ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد علي سلطاني، دار قتيبة ودار النبراس، دمشق، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق إحسان عباس وعبدالمجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجدالدين، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- قراءة ثانية في شعر امرئ القيس، محمد عبدالمطلب، ط١، مكتبة لبنان، بيروت والشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عزالدين، أبو الحسن، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت.
- مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي، ليلى العمري، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٩٥م.
- مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ)، تعليق نعيم حسين زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- المحبّر، ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تصحيح إيلزه ليختن شتيتير، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٦١هـ = ١٩٤٢م.
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، عمادالدين، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ابن عبدالحق، صفي الدين، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤م - ١٩٥٥م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، القاهرة.
- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.
- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، جارالله، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تصحيح محمد عبدالرحمن خان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.
- المشرق، السنة الثامنة، العدد ٢١، ١ تشرين الثاني، بيروت، سنة ١٩٥٥م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، العباسي، عبدالرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- معجم الشعراء، المرزباني، أبو عبيدالله، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فزّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.

- معجم ما استعجم، البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت.
- الملك الضليل امرؤ القيس، محمد فريد أبو حديد، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- المؤلف والمختلف، الأمدي، أبو القاسم، الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.
- الموشح، المرزباني، أبو عبيدالله، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن، علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق نصرت عبدالرحمن، ط١، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٩٨٢م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرئ التلمساني، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٤١٠هـ = ١٩٨٨م - ١٩٩٠م.